اثر الصراع الحضاري بين الحضارتين الاسلامية والغربية في انتشار الارهاب والتطرف في العالم الاسلامي: العراق انموذجاً

أ.د. وجدان فريق عناد (*)
wjdan_fareeq@yahoo.com

الملخص :

إن فكرة الصراع الحضاري بين الحضارتين الغربية والإسلامية من أكثر الأفكار التي شغلت الأوساط الفكرية خلال العقود الأخيرة، وسنحاول في هذا البحث دراسة أثر ذلك الصراع في انتشار الإرهاب والتطرف في العالم الإسلامي، مع التركيز على الحالة العراقية، وسيتناول البحث العديد من المحاور، وهي خلفيات العداء الغربي للإسلام، والأسس الفكرية لنظرية صدام الحضارات وأثرها في معاداة الدين الإسلامي، فضلاً عن أثر الصراع في انتشار العنف والتطرف في العراق .

The impact of civilizational conflict between the Islamic and Western civilizations on the spread of terrorism and extremism in the Islamic world: Iraq as a model

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad
Revival of Arab Scientific Heritage Center/ University of Baghdad

Abstract:

The conflict between the Western and Islamic civilizations is one of the most controversial ideas among the intellectual circles in recent decades. In this research, we will try to study the impact of the conflict on the spread of terrorism and extremism in the Islamic world, with a focus on the Iraqi situation, and the research will address many

(*) مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.

axes, namely the backgrounds of Western hostility to Islam, the intellectual bases of the clash of civilizations theory and its impact on anti-Islamic religion, as well on the impact of the conflict on the spread of violence and extremism in Iraq.

المقدمة :

تعد فكرة الصراع الحضاري بين الحضارتين الغربية والإسلامية من أكثر الأفكار التي شغلت الأوساط الفكرية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، على الرغم من أن جذور ذلك الصراع تعود إلى حقبة زمنية مبكرة جداً، ترجع إلى تاريخ ظهور الإسلام .

وسنحاول في هذا البحث دراسة أثر ذلك الصراع في انتشار الإرهاب والتطرف في العالم الإسلامي، مع التركيز على الحالة العراقية، كونها من أهم الساحات التي حاول الغرب عموماً، والأمريكان خصوصاً، بنخبهم الفكرية، وسياساتهم الاستعمارية، أن يفتحوا فيها ساحة للصراع بين الغرب والإسلام والمسلمين، حتى أنهم صرَّحوا علانية بأنهم يسعون لتجميع الإرهابيين من العالم أجمع في العراق بنية ضربهم جميعاً، ولكن الغاية كانت شيئاً آخر لا علاقة له بالمعلن، وإنما لإنتاج إسلام مزيف متطرف، لكي يسهل من خلاله ضرب الإسلام الحقيقي والمسلمين .

سيتناول هذا البحث العديد من المحاور، وهي خلفيات العداء الغربي للإسلام، والأسس الفكرية لنظرية صدام الحضارات وأثرها في معاداة الدين الإسلامي، فضلاً عن أثر الصراع في انتشار العنف والتطرف في العراق .

أولاً : خلفيات العداء الغربي للإسلام

تعود خلفية العداء الغربي للإسلام تعود إلى حقبة مبكرة جداً من تاريخ الإسلام، وهي حقبة الفتوحات الإسلامية، وكانت العلاقة بين الطرفين ولازالت يشوبها الالتباس والشك والفهم الخاطئ، إذ كان الإسلام طوال تلك المدة الطويلة يمثل بالنسبة للغرب الآخر البربري الغازي والحاقد، وساهم ذلك الفهم الخاطئ والضيق في وضع الإسلام ضمن ما يعرف بـــ(الاستبداد الشرقي)، وجرى تعميم مفاهيم التشدد والقسوة والتعصب

والإرهاب واللاعقلانية والتخلف ونبذ الديمقراطية وحكم القانون المدني والمساواة بين الرجل والمرأة على الثقافة الإسلامية عموماً [١].

لم تكن العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب في يوم ما ودية، أو حتى طبيعية، وإنما ظلت حافلة بالخصومات والصراعات وتصفية الحسابات، وحتى النماذج التي يتم إيرادها لتعزيز فكرة أن بعض الحقب شهدت نوعاً من العلاقات الودية، كانت مجرد رسائل دبلوماسية ظاهرها الود والمجاملة، ولم تغيّر في طبيعة الرؤى المتبادلة الخلافية المشحونة بعدم الثقة، على غرار الهدايا المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان ملك فرنسا (٧٧١-٨١٤ م)[٢].

لقد برز تيار فكري في الغرب اتخذ من الإسلام عدواً للغرب بديلاً عن الاتحاد السوفيتي الذي انهار في بداية تسعينيات القرن العشرين، وتم تداول عدة مصطلحات رُبطت جميعها بالإسلام، كالتعصب الإسلامي، والتطرف الإسلامي، والإرهاب الإسلامي، والخطر الإسلامي، والخطر الأخضر. وكان للدعاية الإعلامية المعادية والدراسات الاستشراقية أثر بالغ في ترويج تلك المصطلحات، فضلاً عن الدعاية الصهيونية التي نجحت برسم صورة مشوهة وقاتمة عن العرب والمسلمين في الغرب، في ظل غياب الدور العربي – الإسلامي[٣].

على الرغم من وجود تيار آخر، أقل حظوة، تمثل بالتيار الذي قاده روجيه غارودي، والذي دعا لحوار الحضارات، ورأى بأن الحضارة الإسلامية هي خير مثل يمكن أن يحتذى من أجل أن تتمكن تلك الحضارة أن تدوم مدة أطول، لأن الحضارة الإسلامية حضارة حية قادرة على التعامل مع الحضارات كافة التي انطوت تحت لوائها، وفيها أقدم دعوة للحوار بين الحضارات[٤]. ويرى غارودي "إن العرب حملوا معهم أشكالاً أسمى وأرفع من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، فانظم إليهم جماهير الناس في عالم يمارس الاستعباد ويقف في أوج التحلل"[٥].

إن تقديم الإسلام والمسلمين كونهم الخطر القادم بعد زوال الاتحاد السوفيتي ظهر بشكل ملفت ومكثف في الأوساط الفكرية والأكاديمية والسياسية الغربية التي روجت

لفكرة (الإحلال)، أي إحلال الإسلام السياسي كخطر يحيق بالمصالح الغربية بديلاً عن الخطر الشيوعي، وروجوا لفكرة أن الإسلاميين وبمجرد تسلمهم للسلطة فإنهم سوف يؤسسون أنظمة حكم ثيواقراطية دكتاتورية، الأمر الذي سيحولهم إلى خطر على الاستقرار وعلى مصالح الغرب وقيمه[٦].

وقد ادعى أنصار ذلك التوجه أن هناك مقاربات فكرية بين الأصوليين الإسلاميين والشيوعيين، ومنها شمولية الأفكار التي يؤمنون بها، ومناهضتهم لديمقراطية الغرب، وإصرارهم على مناصبة العداء للغرب، وادعوا أن فكرة الانبعاث الإسلامي لا يمثل فكرة دينية مجردة، وإنما ينطوي على تحد للفكر السياسي الغربي[٧].

إن المفارقة الملفتة للانتباه أنه وعلى الرغم من تنامي الدعوات المطالبة بالإصلاح والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط عامة، والمنطقة العربية على وجه التحديد، فإن دعاة المجابهة مع الإسلام كانوا يرون أن الديمقراطية لا تتوافق مع الإسلام، محذرين من مغبة تقديم تنازلات في مجالات حقوق الإنسان والإصلاح والديمقراطية، وأشاروا إلى أن دمقرطة سابقة لأوانها قد ترهق إلى درجة مميتة، أنظمة الحكم الموالية للغرب، الأمر الذي يؤدي إلى إبدالها بدكتاتوريات دينية. ويرى دعاة المجابهة أن غياب الديمقراطية في دول الشرق الأوسط، وبقاء أنظمتها الموالية للغرب يساعد في الحد من إيديولوجية الإسلام السياسي. وذلك يكشف لنا مدى العداء الذي تكنّه أغلب الأوساط الفكرية الغربية للإسلام، وسعيها الحثيث بإثارة المشاعر ضده، وتقديمه عدواً تقليدياً للفكر والقيم الغربية[٨].

إن التوتر المتصاعد بين العالم الإسلامي والقوى الغربية مرجعه علاقات الهيمنة والقوة، وعلى الرغم من أن الإسلام أصبح مستودع الخطاب الإسلامي المعارض، وهدف المعارضة هو سياسات القوى الغربية، ومنها السياسة الأمريكية والأوروبية تجاه القضية الفلسطينية، ومعارضة غزو العراق وتدميره، فضلاً عن احتلال أفغانستان[٩].

ثانياً: الأسس الفكرية لنظرية صدام الحضارات وأثرها في معاداة الدين الإسلامي

عند الحديث عن الصراع الحضاري بين الحضارتين الإسلامية والغربية فلابد من ذكر نظرية صدام الحضارات (Clash of Civilizations)، وهي النظرية التي نادى بها أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد الأمريكية (صموئيل هنتنغتون)، والتي ركزت قاعدتها الأساسية على أن الصراعات الرئيسة في السياسة الدولية، ستكون بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة، وستهيمن الصدامات الحضارية على السياسة العالمية، وستكون ساحتها الأساس خطوط التماس بين هذه الحضارات[١٠].

لقد دخلت أطروحة صدام الحضارات حقل التجاذب الفكري على الصعيد العالمي منذ أن روّج لها هنتنغتون في مقالة نشرت في عام ١٩٩٣، وأثارت ضجة كبيرة، أتبعها في العام ١٩٩٦ بعرض أكثر تفصيلاً في كتابه "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"[١١].

ذهبت فكرة كتاب " صدام الحضارات " الأساس إلى أن الثقافة أو الهوية الحضارية هي الأساس في تشكيل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة . وإن أكثر الصراعات انتشاراً وأهمية وخطورة ستكون بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة، وإن هذا الصراع حتمي، لأنه سيكون ليس بين القوى العظمى، ولكن بين الحضارات التي قسمها على ثلاثة أصناف، والذي يهمنا منها هو الحضارات ذات أبعاد "التحدي"، وهما الحضارتان الإسلامية والصينية، والعلاقة بين الحضارتين المتحدية والغربية، هي أن العلاقات بينهما تكون متوترة ومشدودة، وفي الأعم الأغلب عدائية. فالإسلام بنظره هو العدو الأول، لأنه يرى أن الإحياء الإسلامي قد أعطى للمسلمين الثقة في أهمية حضارتهم وقيمهم، مقارنة بالحضارة الغربية[١٢].

إن هذه النظرية – صدام الحضارات – كادت تفقد بريقها أمام الجهود الفكرية التي كانت تجري على قدم وساق لتفعيل وتعزيز الحوار بين الحضارات، حتى عادت من جديد

لتنشط مرة أخرى، وتظهر بقوة إلى الواجهة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لتوجه أصابع الاتهام إلى عناصر عربية وإسلامية بوصفها الضالعة فيها[١٣].

استند – هنتنغتون – في أطروحاته إلى فرضية رئيسة مفادها أن المصدر الرئيس للصراعات القادمة سيكون ثقافياً. ومع أن الدولة القومية ستستمر في القيام بدور أساس في الشؤون العالمية، فإن الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الحضارات المختلفة التي ستعمل على تكوين علاقات التماسك والتفكك والصراع . وعليه ، فإن الصراعات السياسية التي ستبرز هي الصراعات العرقية والإثنية، في حين سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي صراع الحضارات، فضلاً عن أن القضايا الجوهرية على الساحة الدولية سترتبط بشكل مباشر بالاختلاف بين الحضارات[١٤] .

يرى – هنتنغتون – في أطروحته أن الصراع الرئيس سيكون بين الغرب وحضاراته، ونوع من التحالف الكبير بين الحضارتين الإسلامية والصينية – التي غيَّر اسمها من الكونفوشيوسية – الأخيرة بقوتها الصناعية والعسكرية، والحضارة الإسلامية باحتياطياتها النفطية وقربها الجغرافي من الغرب . كما أنه شدّد على أن الإسلام هو ألد وأشد خصوم الحضارة الارثوذكسية، وأوصى روسيا الممزقة بين دعاة التغريب ودعاة السلافية، في أن تكون حليفاً طبيعياً للغرب في مواجهة التحالف الرئيس بين الحضارتين الإسلامية والصينية[١٥].

فضلاً عن ذلك فإنه أكد على أن التحدي الذي تكونه هاتان الحضارتان للحضارة الغربية سيكون أبرز أوجه ضعفها فيما تدعيه بشأن العالمية، ويرى أن مستقبل الحضارات يعتمد على مستقبل الحضارة الغربية، وتحديداً بالاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي، الذي يطالبه بتوثيق هويته الغربية . وبهذا الطرح ، فإنه يوحي إلى أن العقيدة الأمريكية هي المحتوى الجديد للحضارة الغربية، من أجل المحافظة عليها وتجديدها في وجه الحضارات المتحدية، مع تأكيده على أن يعي الغربيون أن حضارتهم فريدة، وليست حضارة عالمية[١٦].

ووصف–هنتنغتون–علاقة الإسلام بالغرب، بأنها علاقة عدائية بشكل عام، أسهمت في تكوينها عوامل اختلال التوازن السكاني والتنمية الاقتصادية والتطور الثقافي ودرجة الالتزام الديني، بسبب ظاهرة ازدياد الهجرة إلى الغرب، التي تسعى إلى تأكيد عالمية القيم الغربية، وفرض التفوق الاقتصادي والعسكري، زيادة على سقوط منظومة المعسكر الاشتراكي السياسية والعسكرية، مما أوجد فراغاً من الضروري ملؤه . فضلاً عن أن الغرب يستشعر من الإسلام أخطار جمة، أهمها: امتلاك الأسلحة غير التقليدية في بعض الدول الإسلامية، بما فيها الأسلحة النووية، وموضوع الهجرة غير المرغوب فيها في الغرب الأورو– أمريكي، فضلاً عن موضوع ما أطلقوا عليه الحرب على الإرهاب(١٧).

وهنتنغتون، ذهب بعيداً في إظهار اختلافه وتزمته، حينما وصَّف الحالة العدائية– التي افترضها–بين الإسلام والغرب، بأنها شبه حالة حرب **(Quais war)** بسبب عدم خضوع بعض الدول لمبدأ الهيمنة الأمريكية الذي تريد الولايات المتحدة تطبيقه على العالم وفقاً للقياس الأمريكي، حتى وإن تطلب الأمر الفرض بالقوة، مما أوجد أساليب جديدة في مقاومة هذه النزعات، وصل بعضها إلى العنف أو المقاطعة الاقتصادية(١٨)، وهذا ما حصل في العراق بين أعوام ١٩٩٠ – ٢٠٠٣، حتى آل الأمر لاحتلاله في استهلالية استعمارية واضحة، فاقدة لكل المسببات والذرائع.

ويبدو أن موقف–هنتنغتون–المتشدد، بل والعدواني ضد الإسلام، متأت من التقاليد الاستشراقية، كما هي مستمدة من قطبية الشرق–الغرب الثقافية، التي تميل لتأزيم الأوضاع وإغلاق أفق الحلول، لكونها تتسم بالطابع العنيف والدموي. فهذه المدرسة الفكرية التي بنت قاعدة ارتكازها الفكري والسياسي بضوء المعطيات السياسية التي تفاعلت معها، سلباً وإيجاباً، دفعها إلى أن تتجه للتمركز نحو الذات، بحجة الدفاع عن قيمها وتراثها الحضاري، والنظر إلى الآخرين بشكل فوقي، كونهم "برابرة" لا يستقيم الحوار والعيش معهم(١٩).

وقد استحوذت أطروحات – هنتنغتون – على القبول من الداخل الأمريكي ازاء نجاحها في النفاذ لعمق الثقافة الأمريكية السائدة، من خلال ملامسة المناطق الهشة فيها، من

خلال تصفيحها بالمساند الداعمة لها، وفلسفة ما تراكم فيها من أشكال "استعلائية" على كونها سياق عام ولا ضير فيه . فمعظم الأمريكيين يؤمنون بمفهوم "التدبير الإلهي للكون"، وهو مفهوم شاع منذ الخطوات الأولى للآباء المؤسسين للدولة الأميركية، إذ يجدون أن الله قد هيأهم إلى صياغة الكون وتصحيحه، ولذلك اطلقوا على أنفسهم بأنهم "الشعب المختار". فضلاً عن ذلك فإنهم يرون أن الله وضع للولايات المتحدة مهمة مقدسة خاصة بها، بمعنى أن هناك تصميم إلهي في صياغة الكون، وأن الولايات المتحدة الأمريكية وفق هذه الصياغة مكلفة برسالة ربانية لأن تكون قائدة لهذا العالم[٢٠].

وقطعاً إن ذلك الطرح وتبريره فلسفياً ونظرياً، لا ينم إلا عن منطق استعماري وعنصري، كونه ذو ملامح استعلائية مغرورة، لا تقيم وزناً "للآخر" أياً كان، كما إنه يشكل تهديداً للعالم وللجنس البشري، لأنه يعبر عن "الذات" بطريقة نرجسية لا تستقيم والمجتمع الإنساني المعاصر[٢١].

إن هذه القناعات المرتبكة والمليئة بحشد الصور، أوصلت – هنتنغتون – إلى حكم قيمي مرتبك، خلاصته، بأن المشكلة الأساس للغرب ليست الأصولية الإسلامية، وإنما الإسلام الذي يمثل حضارة مختلفة ويقتنع اتباعته بتفوق حضارتهم، مع استمكان هاجس لديهم، أو عقدة نقص، حيال ضعفهم مقابل الغرب . ولذلك فإنه يرى أن الإسلام متصادم ومعاد إزاء الحضارات الأخرى، من خلال استعماله تعبير "حدود الاسلام الدموية (Islam's Bloody Borders)" [٢٢] .

وبالمقابل، يرى بعض المتطرفين الإسلاميين أن المشكلة هي الغرب بكامله، لأنه يمثل حضارة مختلفة، ويؤمن اتباعه بأنهم يحملون ثقافة عالمية ويعتقدون بتفوقهم الذي يفرض عليهم مسؤولية نشر هذه الثقافة في العالم، حتى وإن تطلب الأمر استخدام القوة والقسر والإجبار [٢٣] .

إن اطروحة –هنتنغتون– الفكرية، والمتمثلة بصدام الحضارات، باتت خارطة طريق للسياسات الخارجية الأمريكية منذ إعلانها، والتي تجد منطلقاتها من الوجدان الجمعي

للمجتمع الأمريكي، كونها ليست إسهام فكري ونظري فحسب، بل إنها دراسة نظرية فلسفية حول تطور المسار التاريخي، أو رياضة فكرية في التاريخ والاجتماع والسياسة . وهذه النظرية اعتمدتها السياسة الخارجية الأمريكية في تعاملها مع المجتمع الدولي، بل أن إدارة السياسة الأمريكية تجد أن هذه النظرية تصلح أن تكون محتوى عملياً للإستراتيجية الأمريكية، تتعامل عبرها مع العالم في العصر الجديد وقواه التقليدية أو الناشئة، كونها تمثل الأساس الأيديولوجي الذي يمكّن السياسة الخارجية الأمريكية من النجاح والتفوق على الصعيد العالمي [٢٤] .

فضلاً عن ذلك فإن هذه النظرية ضخمت من نزعة " الذات " الأميركية، ولاسيما بنظرتها الدونية "للآخر" لا لشيء، إلا لكون ثقافته واتجاهاته لا تتشابه مع السائد والمشهور عن الأميركيين، الأمر الذي يعني الاختلاف ومن ثم الافتراق الذي قد يكون عنيفاً. كما عدَّت هذه النظرية أن "فرادة" القيم الأمريكية لا يمكن لها أن تتشابه أو تتوارى مع ما تقدمه الحضارات الأخرى من قيم، لكونها قديمة ولا تصلح للمواصلة مع حياة هذا العصر[٢٥].

شكل هذا المنطق الاستعماري والعنصري والاستعلائي تهديداً للعالم وللجنس البشري، بحكم هذه النزعة التسلطية التي باتت أكثر من خطرة في ظل العصر النووي، والذي وجد له قبولاً واسعاً أيام إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق " جورج بوش الابن " وفريق المحافظين الجدد المحيطين به، بعدما وجدوا أن ماجاء به – هنتنغتون – يشكل أداة رئيسة وفاعلة في فهم المحيط الدولي . وقد عبر عن ذلك الفهم الفكري والسياسي المشوه والاستعلائي ما اصطلح على تسميته بمرحلة المحافظين الجدد التي أرادت أن يدور العالم حول واشنطن وما تقرره، حتى وإن كان ذلك يتخذ مظهر القوة الخشنة دون أن يدركوا أنهم بأفعالهم تلك دقوا اسفين الهدم في هذه الامبراطورية الباذخة التي باتت أيام هيمنتها المطلقة على المسرح السياسي الدولي يؤذن بالزوال [٢٦] .

لقد شغلت هذه النظرية المثقفين فصدرت حولها تعليقات مؤيدة لها أو ضدها، وبما أن العرب هم أكثر المستهدفين في هذه النظرية، بل أن نصف الكُتّاب تقريباً يتحدث عنهم، والسبب في ذلك أن صاحبها يرى أن توازن القوى بين الحضارات سائر نحو التغيير، فالحضارة الغربية تتراجع في نفوذها النسبي والحضارات الآسيوية تسير نحو التقدم والتوسع في قواعدها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والإسلام يتفجر سكانياً، الأمر الذي يؤدي إلى عدم الاستقرار للدول الإسلامية وجاراتها والحضارات غير الغربية بشكل عام، وهي الآن ترى أن ثقافاتها ذات قيمة عالية[٢٧].

أما الحضارة الغربية فإن أطروحتها العالمية تجعلها في صراع مع الحضارات الأخرى، وبشكل أكثر خطورة مع الإسلام والصين، والذي يهمنا في بحثنا هذا الإسلام . ذلك أن كل العلماء الكبار يعترفون بوجود حضارة إسلامية متميزة، ولدى بروزها في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، انتشر الإسلام بسرعة عبر شمال أفريقيا وشبه الجزيرة الأيبيرية وكذلك شرقاً إلى شبه القارة الهندية وجنوب شرقي آسيا، ونتيجة لتوسع الرقعة السياسية وجدت ثقافات عديدة متميزة أو فروع حضارية داخل الإسلام، بما في ذلك العرب والأتراك والفرس والملاويين[٢٨].

ففيما يتعلق بالحركات الإسلاموية التي يسميها هنتنغتون بالإحياء الإسلامي، فإن الحركات الإسلاموية في الوطن العربي خاصة، والإسلامي عامة، يجب النظر إليها بأنها استجابة للمشكلات الجارية في مجتمعاتها في الحياة اليومية، ومنها الدولة التسلطية، والتحضر السريع، والتغيرات الاجتماعية والثقافية والتعليمية، وحقيقة التبعية وتخلف الدولة وضعفها، هي الأسباب وراء ذلك الإحياء .

يبقى الإسلام والمسلمون العدو الأول الذي يريد أن يكرسه هنتنغتون في أذهان مجتمعات الحضارة الغربية وخطراً حقيقياً، لأن الشعوب الإسلامية تحاول البحث عن مشروع حضاري، يكون الإسلام جوهره والمعطيات الحضارية العالمية أساسه، لذلك يرى أن الإسلام وحضارته يشكل تهديداً للحضارة الغربية [٢٩] .

فهنتنغتون يعتقد أن التطور الحضاري للكونفوشيوسية والبوذية يسير في اتجاه مهادن ومتسارع نحو الحوار والتعايش والتنافس الودي مع الغرب عبر تحقيقه لإنجازات سياسية واقتصادية مهمة، على عكس معظم القوى والحركات الإسلامية التي تتجه نحو مزيد من الانطواء على الذات ومواجهة الحضارة الغربية [٣٠].

فنظرية صدام الحضارات تؤمن بمركزية الحضارة الغربية، والانحياز ثقافياً وقيمياً لتلك الحضارة ومصالحها الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فهي تؤمن بالمصالح الغربية فقط، وتجعل للإسلام " حدوداً دامية " ، والإسلام مرتبط بالعنف منذ ظهوره، وتاريخ الإسلام كله صراع وعنف مع إطرافه الخارجية، وبين أقسامه الداخلية . فهذه النظرية محاولة لإقناع الغرب بأن المسلمين يتحدون الغرب، وقد اختار هنتنغتون أمثلة وأحداث بطريقة انتقائية، وفسرها بالشكل الذي يجعلها ملائمة مع أفكاره ونتائجه، مع العلم أن أفكاره وتحليلاته متناقضة[٣١].

ومن نظرية صراع الحضارات يمكن معرفة أن أحد أهم أسباب التوترات القائمة في العلاقة بين المسلمين والمجتمع الأورو– أمريكي ، الذي يكمن في الأخطاء القاتلة في فهم الطرفين لبعضهما. ولعل في الصور النمطية عند الغرب، وتحديداً في الولايات المتحدة الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، صور عدوانية ومشوهة، كما أن النظرة المختزنة في المخيلة الجماعية، التي هي مكونة من الإيديولوجيا وعناصر من الديانة المسيحية – اليهودية، تشكل أرضية إسناد لكل القرارات الظالمة وغير المنصفة التي اتخذتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الكثير من القضايا الإسلامية، بحكم ما تراكم من نظرة مسبقة وتقليدية، شكلت خلفية صلدة لدى صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية[٣٢] .

إن أطروحة هنتنغتون أضحت بمثابة "إنجيل" اليمين الأمريكي المتطرف، وأنتجت إيديولوجية عنصرية متطرفة، ونظرة تحقير ودونية، وأصبحت ذريعة مسوّغة لسياسات الإقصاء والتهجير والابتزاز، ومبعثاً لشن الحروب وتقتيل الأبرياء [٣٣].

ولعل في وصف الرئيس الأمريكي – بوش الابن – للدين الإسلامي ، بأنه "فاشية إسلامية" وكأنه بذلك يريد إلباسه لبوساً لم تألفه المجتمعات الإسلامية ، بقدر ما كان وليد المجتمعات الغربية، شكلاً من أشكال الفهم المسبق والمعبأ بإيديولوجيا الكراهية والبغض للطرف الآخر . وهذا الوصف، وبطريقة التعميم التي استعملت، أمر خطير ومدمر، بسبب أن الرئيس الامريكي صاحب أقوى سلطة في العالم في الوقت الحاضر [٣٤] .

ثالثاً : أثر الصراع في انتشار العنف والتطرف في العراق

إن تحليل النزاعات والصراع بين العالم الغربي والعالم الإسلامي التي يجري تصنيفها في خانة "صدام الحضارات" انطلاقاً من ثلاثة عناصر أساسية تتفاعل مع بعضها البعض، وهي [٣٥]:

١– السياق أو البنية أو التناقض: ويتمثل ذلك في المؤسسات والآليات والظروف التي تؤثر على توزيع وتلبية الضرورات الأساسية للحياة، ومثال ذلك السلط والإقصاء والتمييز وانعدام العدالة وهضم الحقوق وسلب الحريات والفساد وعدم المساواة .

٢– الاتجاه السلوكي: وهو الميل الداخلي في الإدراك والفكر والعاطفة والإرادة الذي يحرك الإنسان ويكيّف رؤيته لنفسه وتصوره لخصمه، ومثال ذلك الكراهية والعنصرية والحقد والغضب والخوف والغلو والجهل والاغتراب .

٣– السلوك: ويشمل الأفعال وردود الأفعال والأنشطة والعمليات إزاء الخصم، ومثال ذلك القتل والقمع والتعذيب والاغتصاب والخطف والتهديد والتضليل .

شكلت أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ منعطفاً تاريخياً حمل معه نذراً بإمكانية قيام مواجهة وصدام حقيقيين بين الغرب والإسلام، ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية انبرت بعد تلك الأحداث لقيادة ما أسمته الحرب الدولية ضد الإرهاب، متبنية عقيدة إستراتيجية تقوم على مبدأ (الحرب الوقائية) أو (الضربة الاستباقية)، وخطورة هذه العقيدة تتمثل في أنها تمنح الولايات المتحدة سلطة تقرير ما هو مشروع وما هو غير مشروع بعيداً عن المنظمة الأممية . ومن هنا أخذ الاتجاه يميل إلى بناء مشروعية أخلاقية

(الحرب ضد محور الشر)، ومشروعية دينية (حروب الأمة التي اختارها الله مع أعدائها) لهذه الحرب التي تتقاطع مع الشرعية الدولية، من خلال الرجوع إلى مفهوم (الحرب العادلة) الذي أصبح محدداً مرجعياً أساسياً لفكر التيار المحافظ. وبهذا تحول الخطاب السياسي المعادي للإسلام إلى ضرب من ضروب العمل العسكري المكلف برسالة أخلاقية[٣٦].

وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر "حاول صقور الأمن القومي الأمريكي الذين كان كثير منهم قد عززوا "المجاهدين" في عقد الثمانينيات من القرن الماضي أن يربطوا الأشكال الجديدة من الإرهاب المسلم بشواغلهم القديمة مع العراق وإيران"[٣٧].

لقد أدى الاحتلال الأمريكي للعراق في العام ٢٠٠٣ إلى زيادة وتيرة العنف والتطرف في العراق، وذلك كرد فعل على الاحتلال، فضلاً عن أن السياسة الأمريكية في العراق كانت تشجع وتدعم بشكل مباشر أو غير مباشر التوجهات المتطرفة في العراق[٣٨].

لقد اتهمت إدارة الرئيس جورج بوش الابن قبيل اندلاع الحرب في ٢٠٠٣ بأن العراق دولة إرهابية تعمل بتواطؤ وثيق مع تنظيم القاعدة، في خضم رد الفعل الانفعالي على أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولكن ثبت بالدليل القاطع بعد احتلال العراق أن الأخير لم يكن على أية صلة بتنظيم القاعدة، بيد أن الاحتلال حول العراق إلى ميدان خصب للتجنيد والتبرير للإرهاب [٣٩].

لقد تطور العمل المقاوم للاحتلال الأمريكي للعراق، فضلاً عن ازدياد نشاط الجماعات الإرهابية بعد حزيران ٢٠٠٣، وقد بدأ المقاومون العراقيون، فضلاً عن الإرهابيين والمتطرفين باستغلال حقيقة أن الوسائط الإعلامية تميل إلى التركيز على الحوادث المثيرة، لذلك تطورت التكتيكات التي تتبعها تلك الجهات لمواجهة الاحتلال الأمريكي للعراق [٤٠].

وكان للعامل الخارجي وصراع القوى الدولية والإقليمية أثر كبير في زيادة العنف في العراق، ولاسيما الصراع الأمريكي – الإيراني على الأرض العراقية، وتحريكهما للعديد

من الأطراف السياسية، أو الجماعات المسلحة في العراق، والتي أصبحت من أهم محركات العنف والتطرف [٤١].

الخاتمة :

إن الغرب ونخبه الفكرية والسياسية عليهم الاقتناع بحقيقة أن مصالحهم الحقيقية تكمن في إقامة علاقات ودية وغير عدائية مع العرب والمسلمين، وإيجاد شراكة حقيقية، يتم من خلالها تقديم الدعم الاقتصادي والتقني في إطار من التعاون واحترام مبدأ السيادة .

إن أطروحة الصراع الحضاري هي أطروحة ابتكرت لغرض فرض الهيمنة والسيطرة، ولابد من العودة إلى نقيض تلك الأطروحة وهي الحوار والتقارب بين الحضارات لتكوين حضارة إنسانية .

ولابد من تنقية مضمون الخطاب السياسي العربي والإسلامي من شوائب الماضي وكل ما من شأنه أن يولد انطباعات سلبية عنها، والتوظيف الفاعل لوسائل الإعلام بهدف التعريف بقيم التسامح التي نهضت عليها الحضارة العربية الإسلامية.

الهوامش

[١] عبد القادر محمد فهمي، رؤية الغرب للإسلام بين احتمالات المجابهة وإمكانية التعايش والحوار، مجلة دراسات دولية، العدد ٣٠، شباط ٢٠٠٦، ص ٣ .

[٢] حسن مكي، الإسلام والمسلمون والغرب، في : الإسلام والغرب نحو عالم أفضل، تحرير خالد حاجي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٦٢ .

[٣] عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٣ .

[٤] وجدان فريق عناد، أثر الحضارة الإسلامية في الفكر السياسي الحديث، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الرابع، تشرين الثاني– كانون الأول ٢٠١٦، ص ٩.

[٥] روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٤ .

[٦] ينظر :. Graham Fuller, The next Ideology, Foreign Policy, No. 98, spring 1995

نقلاً عن عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٤ .

[7] Daniel Pipes, The Islamic threat, Foreign Affairs, No. 64, summer 1986, p. 939.

نقلاً عن عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٤ .

[٨] عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٥ .

[٩]) بشير موسى نافع، حضاري أم سياسي؟ حقيقة التوتر المتصاعد بين العالم الإسلامي والغرب، في : الإسلام والغرب نحو عالم أفضل، تحرير خالد حاجي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٤ .

[١٠]) صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارة وإعادة بناء النظام العالمي، ط١، ترجمة مالك أبو شهيوه ومحمود خلف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته – ليبيا، ١٩٩٩، ص ٢٤٦ .

[١١]) عباس عروة، صدام الحضارات من منظور علم التزاع والسلم، في : الإسلام والغرب نحو عالم أفضل، تحرير خالد حاجي، الدار العربية للعلوم – ناشرون، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٢ .

[١٢]) صموئيل هنتنغتون، المصدر السابق، ص ١٤ وما بعدها .

[١٣]) عبد القادر محمد فهمي ، المصدر السابق، ص ٦ .

[١٤]) صموئيل هنتنغتون، المصدر السابق، ص ٢٥١ .

[١٥]) وجدان فريق عناد، المصدر السابق، ص ١٣ .

[١٦]) صموئيل هنتنغتون، المصدر السابق، ص ٢٥٦ .

[١٧]) المصدر نفسه، ص ٢٦٦ .

[١٨]) المصدر نفسه، ص ٢٦٨ .

[١٩]) جانيس ج. تيري ، السياسة الخارجية الامريكية : دور جماعات الضغط والمجموعات ذات الاهتمامات الخاصة ، ترجمة احسان البستاني ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤٦ .

[٢٠]) حميد حمد السعدون ، صدام الهويات ، بغداد ، ٢٠١٣، ص ٢٣ .

[٢١]) المصدر نفسه، ص ٢٤ .

[٢٢]) وجدان فريق عناد، المصدر السابق، ص ١٤ .

[٢٣]) مجموعة مؤلفين، صراع الحضارات أم حوار الثقافات ، تحرير فخري لبيب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٨ وما بعدها.

[٢٤]) حميد السعدون ، صدام الهويات ، ص ٣٦ .

[٢٥]) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

[٢٦]) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

[٢٧]) وجدان فريق عناد، المصدر السابق، ص ١٥ .

[٢٨]) حميد السعدون، صدام الهويات، ص ٤٨ .

[٢٩]) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

[٣٠]) عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٧ .

[٣١]) ينظر: حميد حمد السعدون ، الغرب والإسلام والصراع الحضاري ، دار وائل للطباعة والنشر ، عمان ، ٢٠٠٢ ، ص٨٤ .

[٣٢]) حميد السعدون، صدام الهويات ، ص ٤٨ .

[٣٣]) مصطفى الفيلالي، نحن والآخر، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٣١٨، آب/ أغسطس ٢٠٠٥، ص ٩ .

[٣٤]) حميد السعدون، صدام الهويات ، ص ٥٢ .

[٣٥]) عباس عروة، المصدر السابق، ص ٤٦–٤٧ .

[٣٦]) ينظر : عبد القادر محمد فهمي، المصدر السابق، ص ٨–١٠ .

[٣٧]) جوان كول، الشيعة العراقيون : حول تاريخ حلفاء أمريكا المحتملين، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٨، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣، ص ٩٨ .

[٣٨]) ينظر: خير الدين حسيب، العراق إلى أين؟ العملية السياسية مآلها الفشل ولا مخرج لأمريكا إلا المبادرة الوطنية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢٧، أيار/ مايو ٢٠٠٦، ص ١٦-١٧ .

[٣٩]) وليام بولك، الواقع والخيارات في حرب العراق، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١١، كانون الثاني/يناير ٢٠٠٥، ص ١١.

[٤٠]) انتوني كوردسمان، المقاومة المتطورة في العراق، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣١٨، آب/ أغسطس ٢٠٠٥، ص ٤٤ .

[٤١]) خضر عباس عطوان، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٣٠، آب/ أغسطس ٢٠٠٦، ص ٤١ .